# قطوف من سيرة الإمام محمد الباقر عليه السلام

المدرس
خالد حفظي التميمي
جامعة كربلاء - مركز الدراسات الاستراتيجية
mobailsama@gmail.com

## المقدمة:

إن حياة العظماء مصدر إشعاع للفكر، ومنهل عذب للخير، وينبوع فياض بالحكمة، ورصيد ضخم في الكمال والمعرفة، وطاقة جبارة في العلم والأدب تستوحي الأمة منها الإيمان الصادق، والعقيدة الحقة، والخلق الكريم، والمثل والكرامة؛ فهي مدرسة كبرى للإنسانية ومعالم وضاءة لتحقيق الحق والعدالة.

وليس هناك في الأمة من يساوي أئمة أهل البيت عليهم السلام في عظمتهم وفضلهم، ولا يباريهم في شرفهم ونسبهم، ولا يرتفع إليهم في مقامهم ومكانتهم؛ فهم عيش العلم وموت الجهل وأصول الكرم وقادة الأمم، والثقل العظيم الذي تركه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بين ظهراني الأمة وجعلهم نظراء للقران الكريم، ونصبهم خلفاء له صلى الله عليه وآله على الناس، وحكاماً على الخلق وساسة للعباد وأمراء على البلاد، وقد كان لكل منهم زمن وظروف خاصة به مما تجعله يقوم بدوره حسب تلك الظروف ومن هنا كانت الضرورة، فكان للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أوصياؤه الاثنا عشر، ومنهم باقر أهل البيت عليهم السلام، إماماً حجةً يقيمُ الدين الحق من بعد الرسول، ويهدي إلى سبيل الحق.

وبعد، فان الحديث عن أهل بيت العصمة و الإمامة عليه السلام حديثٌ عن كل ما هو خير وجميل وطهارة في هذا الكون الرحب. لأنهم جسدوا كل معاني الخير والفضائل الانسانية و طبقوها فعلا و قولا، جرى ذلك في أولهم وآخرهم و من سماء عظمتهم.

وهنا يطل علينا بدر من بدورهم و هو مولانا الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام حاملا لنا هذه الباقة العطرة و هو غيض من فيض عطائه الجم للإنسانية جمعاء. ومن ثم فإن الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام وهو الإمام الخامس من أئمة المسلمين هو أمر يحتاج إلى عناية خاصة

وبحث مكثف في بطون الكتب المختلفة لأنه عليه السلام بقر بطن العلم بقرا ونشر دقائقه وبين مبهمات إلى الأمة الإسلامية. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾[١].

## المبحث الأول

## نبذة عن الإمام عليه السلام ومراحل حياته

### أولاً: التعريف بحياة الإمام – ولادته، اسمه، لقبه وكنيته.

ولد الإمام محمد الباقر عليه السلام عام ٥٧ للهجرة في يوم الجمعة غرة رجب وقيل الثالث من صفر[٢].

أما عن تسميته فقد سماه جده الرسول صلى الله عليه وآله بمحمد، وكناه بالباقر قبل أن يخلق بعشرات السنين، وكان ذلك من أعلام نبوته كما يقول بعض المحققين، وقد استنشق صلى الله عليه وآله من وراء الغيب ما يقوم به من سبطه من نشر العلم واذاعته بين الناس فبشر به أمته، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري.

**كنيته:** أما عن كنيته فهي: " أبو جعفر " ولا كنية له غيرها.

**ألقابه:** أما ألقابه الشريفة فقد دلت علي ملامح شخصيته العظيمة ونزعاته الرفيعة وهي: الأمين، الشبيه (لأنه كان يشبه جده رسول الله صلى الله عليه وآله، الشاكر، الهادي، الصابر، الشاهد، الباقر وهذا من أكثر ألقابه ذيوعا وانتشارا.

أما الأصلاب الكريمة والأرحام المطهرة التي تفرع منها فهي:

الأم: فأمه هي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة، وتكني بأم عبدالله وكانت من سيدات نساء بني هاشم.

الأب: أما الأب فو سيد الساجدين وزين العابدين، ومن ألمع سادات المسلمين فقها وعلما وتحرجا في الدين، زوجاته: كان لدى الإمام الباقر زوجتان وهما أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة.. وقيل إن اسمها فاطمة، وكنيتها أم فروة وهي أم الإمام جعفر الصادق وعبدالله، وأم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفية وهي أم ابراهيم وعبدالله[٣].

## ثانياً: الحياة السياسية في عصر الإمام.

### السياسة الأموية في عصر الإمام الباقر عليه السلام:

رحل الإمام السجاد إلى جوار ربه عام ٩٥ ه، فنهض الإمام الباقر بأعباء إمامة المسلمين، وقد امتدت إمامته تسع عشرة سنة، قضى منها زهاء السنتين في حكم الوليد بن عبدالملك السلطان الأموي، وسنتين في عهد سليمان بن عبدالملك. وهي مدة حكمه فحسب ويبدو أن الظروف في عهده لم تشهد تطورا نحو الأحسن في العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام والبيت الأموي الحاكم، فإن حادثة اغتيال الإمام السجاد بالسم، ومن قبلها مأساة اللطف مازالت حية في النفوس.

ويبدو أن سليمان بن عبدالملك الذي كان يخشي على ملكه وسلطانه من أهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد انشغل طوال فترة حكمه الصغيرة بتصفية كل القيادات التي اعتمدها أخوه الوليد من قبل، فقد صب حقده على أسرة الحجاج بسبب حقده على الحجاج ذاته لعوامل شخصية لسنا بصدد ذكرها الآن، كما عزل وُلاة الوليد البارزين وعاقب بعضهم بالموت كمحمد بن القاسم. ومع انشغال سليمان بالقضاء على ولاة الوليد، كان مشغولا أيضا بالطعام والنساء والبذخ بشكل جعل المؤرخين يقطعون بكونه أفسد ممن سبقه من سلاطين بني أمية. وبتولي عمر بن العزيز قيادة الحكم الأموي حدث تحول كبير لصالح الإسلام ودعوته، فعلى الرغم من قِصَر أيامه في الحكم، إلا أن مواقفه من أهل البيت عليهم السلام كان فيها الكثير من الإنصاف، فقد عمل على رفع الحيف عنهم، وأطاح ببعض انواع الظلم الذي لحق بهم، فرفع السب عن الإمام علي من علي المنابر، وهي سنة سنها معاوية وعممها علي الأمصار، فصار سنة يستن بها كل السلاطين من بني امية في خطبة الجمعة، حتي عهد عمر ابن العزيز الذي منعه واستبدل به في خطبة الجمعة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وكما رفع السب عن أمير المؤمنين أعاد فدكا (وهي قرية وهبها الرسول صلى الله عليه وآله) إلى الإمام الباقر معتبرا أن أمر مصادرتها من جانب الحكام السابقين غير شرعي.

وبالنظر إلى أن البيت الأموي لم يألف مهادنة أهل بيت الرسالة عليهم السلام قط، فإن بن

عبدالعزيز كان يواجه الضغط من بني أمية بسبب سياسته الإنفتاحية عليهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام قال: "لما وُلي عمر بن العزيز أعطانا عطايا عظيمة، فدخل عليه أخوه فقال له: إن بني أمية لا ترضي منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم، فقال عمر: أُفضلهم لأني سمعتُ، حتي لا أبالي ألا أسمع، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: إنما فاطمة شجنة مني يسرني ما أسرها ويسوئني ما أساءها، فأنا أبتغي سرور رسول الله صلى الله عليه وآله وأتقي مساءته"(٤).

على أن زعامة بن عبدالعزيز لم تدم أكثر من سنتين وخمسة أشهر، فتولى الحكم بعده يزيد بن عبدالملك، المشهور تاريخيا بلهوه وخلاعته وغزله الماجن. وإذا كان هذا الحاكم ينشغل بأعماله الصبيانية والمجنونة، لم يعطه فرصة التصدي لمسيرة الإسلام التاريخية التي يقودها الإمام الباقر عليه السلام. فإنَّ تولي هشام بن عبدالملك لقيادة السياسة المنحرفة، فقد خلق انعطافا تاريخيا مغايرٌ لمصالح المسيرة الإسلامية، فالحاكم المذكور كان خشن الطبع، شديد البخل، فظا، ناقما على المسلمين غير العرب، فضاعف من حجم الضرائب المالية عليهم، وأعاد أيام يزيد والحجاج الدموية، فتصدى له أهل البيت من خلال انتفاضة الشهيد يزيد بن عليٍ، التي كانت صدى لثورة الحسين وامتدادا لها، فاستشهد هو وأصحابه، وأمر الطاغية هشام بصلب جثته ومن ثم حرقها وذرٌ رمادها في نهر الفرات.

إن هشام بن عبدالملك كان واثقا من أن مصدر الوعي الإسلامي الصحيح إنما هو الإمام الباقر وأن وجوده حرا طليقا يمنحه مزيدا من الفرص لرفع الحركة الإصلاحية في الأمة وتكريس مداها المتعاظم، ومن أجل ذلك رأت السياسة المنحرفة ممثلة بحفيد مروان أن يحال بين الإمام وبين استمراريته بالعمل الرسائلي لصالح الإسلام ولأمة، وقد اتجه المكر الأموي نحو اعتقال الإمام وإبعاده عن عاصمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله التي اجتمعت هي والحجاز عموما على إجلاله والتمسك به.

وهكذا حُمل الإمام وابنه جعفر الصادق إلى دمشق بأمر السلطة الأموية لإيقاف تأثيره في الأمة المسلمة وحجبه عن أداء دوره الرسائلي العظيم، وأودع في أحد سجون الحكم هناك. بيد أن تأثيره الفكري فيمن التقي بهم حمل السلطة الأموية على إطلاق سراحه.

وإذا كانت رواية الحضرمي تؤكد أن إطلاق سراح الإمام من السجن الأموي كان بسبب تأثيره في السجناء الذين التقي بهم، فإن رواية محمد بن جرير الطبري في دلائل

الإمامة، تفيد أن إطلاق سراحه إنما جاء بسبب تأثيره على جماهير دمشق علي إثر مناظراته لزعيم النصارى هناك ودحض آرائه، وتبيان زيفها، والرد على كل الشبهات التي أثارها حول الإسلام، على أنه ليس هناك من تعارض بين الروايتين إذ لا مانع من وقوع الحادثتين معاً، فإن الإمام إنما يتبع الهُدى والحق أينما حلَّ، طليقا كان هوا أو معتقلا، مادام هناك إنسان يُلقي السمع وهو شهيد.

وإذا لم تحقق المضايقة الأموية غايتها الدنيئة في صد الإمام الباقر عن النهوض بمهامه الرسالية العظمي، فقد رأت السياسة المنحرفة أنه ليس عن اغتياله بديل، وهكذا دس إليه السم في عام ١١٤هـ. ورحل إلى ربه الأعلى سبحانه صابرا مُحتسبا(٥).

**ثالثاً: انطباعات عن شخصية الإمام الباقر وأخلاقه.**

**سمو أخلاقه:** أما معالي أخلاقه فإنها من روح الله يهتدي بها الحائر ويسترشد بها الضال وقد حاكي بهذه الظاهرة جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي امتاز على سائر النبيين بسمو أخلاقه. وكان عليه السلام " بإجماع المؤرخين " يقابل كل من أساء إليه بالعفو والصفح الجميل، ويغدق عليهم ببره ومعروفه، ليقلع من نفسه جذور البغي والاعتداء على الغير.

**وهذه نماذج من أخلاقه عليه السلام:**

**حلمه:** أما الحلم فقد كان من أبرز الصفات التي تمتع بها الإمام عليه السلام فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء إلى من ظلمه واعتدى عليه وإنما كان يغدق عليه بالبر والمعروف، ويقابله بالصفح والإحسان.

**تكريمه للفقراء:** ومن معالي أخلاقه أنه كان يُبَجِّلُ الفقراء، ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذل الحاجة

**عتقه للعبيد:** وكان الإمام شغوفا بعتقه للعبيد، وإنقاذهم من رق العبودية، فقد عتق أهل بيت و بلغوا أحد عشر مملوكا وكان عنده ستون مملوكا فأعتق ثلثهم قبل موته.

**صلته لأصحابه:** وكان أحب شيء للإمام في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه من بعده على أصحابه وتلاميذ ليتفرغوا إلى نشر العلم

وإذاعته بين الناس.

**صدقاته علي فقراء المدينة:** وكان الإمام كثير البر والمعروف على فقراء يثرب، وقد أحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار، فكان يتصدق عليهم في كل جمعة بدينار ويقول: (الصدقة يوم الجمع تضاعف الفضل علي غيره من الأيام).

**عبادته:** كان الإمام أبو جعفر عليه السلام من أئمة المتقين في الإسلام، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربه بقلب منيب، وأخلص في طاعته كأعظم ما يكون الإخلاص ومظاهر عبادته كانت في الخشوع في صلاته وكثرة صلاته وزهده في الدنيا(٦).

## المبحث الثاني

## باقر علوم الأولين والآخرين

### أولا: سبب تسمية الرسول صلى الله عليه وآله له بالباقر:

لقد لقب الإمام بالباقر، نظرا لبقره للعلم، تقول باقر العلم أي الشاق له وهو نظير قولنا " بقر بطنه " أي شق بطنه، فالإمام عليه السلام باقر العلم شاقه ومخرجه من مكنون سره، وهذا اللقب للإمام الباقر عليه السلام عرف به من قبل القاضي والداني، والصديق والعدو حتي اختص به، فمتى ما قيل الباقر: عرف الناس أنه هو دون غيره (٧).

قال جابر بن عبدالله الأنصاري: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنك ستبقي حتى ترى رجلا من ولدي، أشبه الناس بي، اسمه على اسمي، إذا رأيته لم يخف عليك، فأقرأه مني السلام وقال صلى الله عليه وآله لجابر: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمي، يبقر العلم بقرا، أي يفجره تفجيراً، فإذا رايته فأقرأه مني السلام".

قال جابر فأخر الله مدتي، حتى رأيت الباقر، فقرأته السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله(٨).

فقال ابن منظور عن الإمام باقر: (التبقر: التوسع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر، لأنه بقر العلم وعرف أصله، واستنبط فرعه وتبقر في العلم)(٩).

وقال الفيروز آبادي: (والباقر محمد بن علي بن الحسين لتبحره في العلم)(١٠).

**ثانياً: الأسباب التي هيئت الإمام للتبقر في العلم.**

كيف بقر الإمام عليه السلام العلم: إن العلوم الغزيرة التي كانت عند النبي صلى الله عليه وآله علمها أمير المؤمنين عليه السلام عنه عليه السلام: " إن رسول الله صلى الله عليه وآله علمني ألف باب من الحلال والحرام، ومما كان ومما يكون إلى يوم القيامة، كل باب منها يفتح الف باب، فذلك ألف ألف باب حتى علمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب " ثم هو عليه السلام نقلها إلى الأئمة من ولده، غير أن الفرصة لم تسنح لهم بإظهارها بشكل رسمي بسبب الظروف السياسية والحربية لدى الأمير عليه السلام ولأسباب أخري كعدم توفر الأرضية المناسبة لدي الناس لاستقبالها.

إلا أن هذه الأسباب تهيأت سياسيا، واكتملت شعبيا للإمام الباقر عليه السلام فبقر العلم وشقه أي أفصح عنه، ولكنه لم ينشره (على مستوى عام) لكن من قام بذلك هو ابنه الصادق من بعده، اما الإمام الباقرعليه السلام فهو من أبرزه وأفصح عنه فلفت أنظار الناس إليه بحيث ستقطبهم لاستكشاف ما أفصح عنه من علم.

وبهذا البيان عن الظروف السياسية والفكرية في عصر الأئمة نفهم لماذا اختص الباقرعليه السلام بمهمة بقر العلم وكشفه، دون غيره من الأئمة عليهم السلام[11].

**ثالثاً: أهم أدوار الإمام باقر وإنجازاته:**

وكانت أهم الأدوار القيادية للإمام باقر هي:

تسلم قيادة الأمة بعد أبيه عليه السلام وتصديه لمهام الإمامة.

كشفه القناع رسميا عن علوم آل محمد وبقره لكنوز علومهم الموروثة عن الإمام علي عن النبي صلى الله عليه وآله.

التصدي للحركات الفكرية المضادة وفضحها وكشف زيفها من خلال الحوارات المباشرة، أو بث التعليمات الصحيحة المضادة لها، كوعظه الصوفي ابن المنكدر، وكنقاشه للراهب النصراني في الشام.

مواجهته لحكام عصره بما يلزم لإنجاح مهمته، كمحاجته لهشام بن عبدالملك، أو من خلال توجيه أصحابه بما يلزم تجاه الحاكم كأمره لجابر ابن يزيد الجعفي بالتظاهر بالجنون حفظا له من القتل وإبطالا لمخطط هشام بن عبدالملك نحوه.

وقد كان الإنجاز الكبير، والمهم جدا للأمام الباقر عليه السلام. فإنه قد بقر العلم لهذه الأمة، ولم يترك بابا من أبواب الفقه والشريعة، ولا مجال في شتى مناحي المعارف. ولا شأنا من شؤون العقيدة، والأخلاق، والتربية، والسياسة، والسلوك، وغير ذلك مما تحتاج إليه الأمة إلا وسجل فيه وفي أدق تفاصيله وجزئياته النظرية والتطبيقية كلمة الإسلام الهادفة، والمرشدة الى طريق الحق، والخير، والهدي. ثم جاء بعده ولده الإمام الصادق البار الأمين عليه السلام ليكمل المسيرة ويتابع رسم الطريق، لكل الأجيال، وعلى امتداد العصور، والدهور. وكان الإمام السجاد قبلها هو الذي استطاع بسياسته الفضلي، وبطريقته المثلى أن يهي المناخ المناسب لنشوء مدرستها سيما التي استقطبت المئات من رواد العلم بل الآلاف. إذ من البديهي: أن هذا الامتداد القوي والعميق لم يكن ليحصل لو لم يسبقه تخطيط وإعداد عملي واسع في نطاق ترسيخ قواعد فكرية واجتماعية وخلقية أو الاستفادة من ظروف سياسية أصبحت مواتية فأرست القاعدة العقيدية و الفكرية الصلبة، التي قام عليها ذلك البناء الشامخ لمدرسةٍ استطاعت أن تلتهب في العالم الاسلامي، جذوة طالما عمل الحكام والمتسلطون على اطفائها وقد تركت بصماتها علي كل قضية، وفي كل موضع وموقع، في شتى مجالات الحياة(١٢).

**رابعاً: اخوان وأولاد الإمام باقر وتلامذته ورواة الحديث عنه:**

أما البحث عن شؤون السادة من إخوان الإمام الباقر وأبنائه ومدى علاقتهم معه فإنه ضروري حسب الدراسات الحديثة لأنه يكشف جانبا من جوانب حياته في ظلال أسرته التي تعد من المكونات التربوية للشخص - حسبما يقول العلماء - وفيما يلي:

**أخوته:** كان للإمام الباقر أربعة من الأخوات وهم "عبدالله وعمر وزيد والحسين". وأما علاقته بإخوته فقد كانت وثيقة للغاية تسودها المحبة والألفة واجتناب هجر الكلام ومره وقد قيل له: "أي اخوتك أحب لك "فأجاب أنه لا يفرق بينهم وأنه يُكن لهم جميعا أعظم المودة والإخلاص" أما عبدالله فيدي التي أبطش بها وأما عمر فبصري الذي أبصر به وأما زيد فلساني الذي أنطق به وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"(١٣).

**أبنائه:** وأما ذريته الطاهرة من الأبناء فكانت ١) ابراهيم وكانت أمه أم حكيم بنت أسيد ابن المغيرة بن الأخنس الثقفي ولم نقف على أية معلومة عنه. ٢) الإمام الجعفر وهو سيد ولد أبيه ووصيه والإمام القائم بعده، ٣) عبدالله وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر،٤) عبيد الله وهو الذي عاش في كنف أبيه وتربي علي يده ولقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه،٥) عبدالله وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة الثقفية وقد توفي في حياة أبيه[١٤].

**أصحابه ورواة الحديث عنه:** لقد جهد الإمام الباقر عليه السلام على تربية جماعة فغذاءهم بفقهه وعلومه، فكانوا من مراجع الفتيا في العالم الإسلامي، ومن مفاخر هذه الأمة، وقد عهد إلى ولده الإمام الصادق بنفقاتهم ليتفرغوا إلى تدوين الحديث الذي سمعوه منه، وتعد الكوكبة من العلماء التي خرجت على يده من خيار أصحاب الأئمة ومن عيون الفقهاء والعلماء ومنهم " أبان بن تغلب، أبان بن أبي عياش فيروز، ابراهيم بن الأزرق، ابراهيم بن حنان، اسحاق بن عبدالله، اسحاق بن بشير، اسحاق بن جعفر، بدر بن الخليل، برد الخياط، بريد الخياط، بريد الكناسي. وذكرت هذا الموقع أن عددهم ٤٨١ عالما[١٥].

حيث بروزا منهم في صدر الاسلام سته اشخاص معظمهم من الفقهاء ومن رفاق الامامين الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام وهم: زرارة بن اعين، معروف بن خربوذ المكي، ابو بصير الاسدي، فضيل بن يسار، محمد بن مسلم الطائفي و بريد بن معاوية العجلي[١٦].

## المبحث الثالث

## علم الإمام الباقر عليه السلام ومنزلته العلمية

لا شك ولا ريب بأن علم الإمام عليه السلام هو الأساس في حياته، وفي جميع حركاته وسكناته، وقد اشتهر علم الإمام الباقر لدى الصديق والعدو، فلا يسعنا تفاصيل شأنه عليه السلام وهو وتد الأرض وسراج الخلق.

تحدث الإمام الباقر عليه السلام كثيراً وفي مناسبات عديدة عن العلم فشجع على طلبه وحث الطلاب على المزيد من تحصيله لأنه على ثقة من أمره أن العلم نور العقل وهو الدعامة الأولى التي ترتكز عليها حياة الأمم المتطورة والراقية.

كما أشاد بفضل العلماء ورثة الأنبياء، فهم برأيه مصدر الوعي والتوجيه للأمة وعليهم

مسؤوليات كبرى في الإصلاح والإرشاد وهذا بعض ما أثر عنه في هذا الحقل الكريم. فقال عليه السلام في: فضل العلم تميز أهل البيت بالعلم خصهم الله به فكانوا رواده وخزائنه وأنواره وقد أخذوه سالف عن سابق عن جدهم أمير المؤمنين، مدينة علم النبي الأكرم عن جدهم الرسول الأعظم. والله عز وجل فضل المؤمنين وميزهم قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٧]. وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (العلم خزائن، ومفتاحها السؤال، فاسألوا رحمكم الله فإنه يؤجر أربعة: السائل والمجيب، والمستمع، والمحب لهم)[١٨].

وقال أيضاً عليه السلام: (إن الذي تعلم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلمه، وله الفضل عليه، تعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء)[١٩].

**أولاً: العلوم التي بحث فيها الإمام باقر عليه السلام.**

أولاً: العلوم التي بحث فيها الإمام باقر عليه السلام.

وخاض الإمام عدة علوم في بحوثه التي ألقاها على العلماء في الجامع النبوي أو في بيته، وكان من بينه.

**علم الحديث:** أولى الإمام باقر المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وعن آبائه الأئمة فهم المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم وله أهميته البالغة في الشريعة الإسلامية.

**روايات الأئمة:** أما روايات الأئمة الطاهرين عليهم السلام التي أثرت عنهم في عالم التشريع والأحكام فهي لا تحكي آرائهم الخاصة وإنما هي امتداد لقول الرسول صلى الله عليه وآله ورأيه ولذا فقد ألحقت بالسنة.

**علم التوحيد:** وتناول الإمام أهم مسائل التوحيد، فكشف الغطاء عنها وفند ما أثير من أوهام وشكوك، وكان من بين ما عرض له:. عجز العقول عن إدراك حقيقة الله: والشيء الذي لا جدال فيه أن الإنسان بجميع ما يملك من طاقات فكرية فإنه عاجز عن معرفة حقيقة الله، لأن العقول في جميع تصوراتها محدودة. وغيرها من المسائل التي عرضت عليه في علم التوحيد مثل (أزلية واجب الوجود - علم الله - واقع التوحيد صفات الله...)[٢٠].

**علم الفقه:** لقد جهد الإمام الباقر وولده الصادق على نشر الفقه الإسلامي وتبنياه بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الإسلامي غارقا في الأهداف السياسية، وقد أهملت الحكومات في تلك العصور الشئون الدينية إهمالاً تاماً، فلم تعد الشعوب الإسلامية تفقه من أمور دينها القليل ولا الكثير ويمتاز فقه أهل البيت بمميزات رائعة جعلته في قمة الفقه الإسلامي وغيره، ومنها اتصاله بالنبي صلى الله عليه وآله ومرونته وفتح باب الاجتهاد والرجوع إلى حكم العقل [٢١].

**علم الأصول:** من العلوم التي فتح أبوابها الإمام الباقر عليه السلام علم الأصول، وهو من أجل العلوم الإسلامية بعد علم الفقه لأن الاجتهاد يتوقف عليه فإنه لا يكون المجتهد قد حصل على ملكة الاجتهاد حتي يجتهد في بحوث هذا العلم[٢٢].

## ثانياً: أدعية الإمام باقر عليه السلام.

ومن أدعيته عليه السلام كان يتجه بقلبه وعقله نحو الله رب العالمين، ليناجيه بانقطاع تام، وإخلاص وشفاف. ومضافا لما تحمله هذه الأدعية من الحمد لله تعالى، والتقديس له جل شأنه، والشكر على نعمائه، وتنزيهه عن أوصاف المشبهين، وأوهام المجسمين، فهي تفيض بالتعاليم الأخلاقية والمعارف السامية والآداب العالية. وسوف نذكر منها بعض الأدعية المنقولة عنه، فمن أدعيته عليه السلام أنه كان يدعو به عند خروجه من بيته فيقول (أعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر هذا اليوم الجديد، الذي ان غابت شمسه لم تعد، من شر نفسي ومن شر غيري ومن شر الشيطان، ومن شر من نصب لأولياء الله، ومن شر الجن والإنس، ومن شر السباع والهوام، ومن شر ركوب المحارم كلها، أجير نفسي بالله من كل سوء)".

وأيضاً من أدعيته عند النوم كان يقول "بسم الله، اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، وتوكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك، لا منجي منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت"[٢٣].

## ثالثاً: تفسيره عليه السلام للقرآن الكريم:

سلك المفسرون للقرآن الكريم عدة اتجاهات وطرقاً مختلفة منها: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي.

### أ. التفسير بالمأثور:

وعني هذه الطريقة بما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى، وهذا ما سلكه أغلب مفسري الشيعة كتفسير: القمي والعسكري، والبرهان وغيرها. وحجتهم في ذلك أن أهل البيت عليهم السلام هم المختصون بعلم القرآن على حقيقته وواقعه، وليس لغيرهم في ذلك نصيب كبير أو صغير. فالأوصياء بلا شك هم الذين عندهم علم الكتاب، ظاهره وباطنه. وقد تضافرت الأدلة بوجوب الرجوع إليهم في تفسير القرآن. يقول الشيخ الطوسي: إن تفسير القرآن لا يجوز إلا بأثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه وآله.

### ب. التفسير بالرأي:

وتعنى هذه الطريقة بالاعتبارات العقلية الظنية الراجعة إلى الاستحسان (٢). وقد ذهب إلى ذلك المفسرون من المعتزلة والباطنية، فلم يعنوا بما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله ولا عن أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما استندوا إلى ما رأوه من الاستحسانات العقلية. وقد نهى عن ذلك الإمام الباقر عليه السلام[٢٤].

لا ريب في أنّ القرآن الكريم هو أوّل مصادر التشريع الإسلامي، وأهم مصادر الثقافة الإسلامية، التي تعطي للأمّة الإسلامية وللرسالة الإلهية هويّتها الخاصّة، وتسير بالأُمة إلى حيث الكمال الإنساني المنشود. وقد اعتنى الإمام الباقر عليه السلام كسائر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً، وصيانةً له عن أيدي العابثين وانتحال المبطلين، فكانت محاضراته التفسيرية للقرآن الكريم تشكّل حقلاً خصباً لنشاطه المعرفي وجهاده العلمي، وهو يرسم للأُمة المسلمة معالم هويتها الخاصّة. ومن هنا خصّص الإمام عليه السلام للتفسير وقتاً من أوقاته، وتناول فيه جميع شؤونه، وقد أخذ عنه علماء التفسير ـ على اختلاف آرائهم وميولهم ـ الشيء الكثير، فكان من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام. وقد نهج الإمام الباقر عليه السلام في تفسير القرآن الكريم منهجاً علميّاً خاصّاً متّسقاً مع أهداف الرسالة وأُصولها، ونعى على أهل الرأي والاستحسان وأهل التأويل والظنون، فكان ممّا اعترض به على قتادة أن قال له: (بلغني أنّك تفسّر القرآن!).

فقال له: نعم.

فأنكر عليه الإمام عليه السلام قائلاً: (يا قتادة إن كنت قد فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسّرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة ويحك إنّما يعرف القرآن من خوطب به).وقد قصر الإمام عليه السلام معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت عليهم السلام، فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه، والناسخ من المنسوخ، وليس عند غيرهم هذا العلم. فقد ورد عنهم عليهم السلام: (أنّه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، الآية يكون أوّلها في شيء، وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل ينصرف إلى وجوه).أمّا الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأي المنهيّ عنه.

ومن نماذج تفسير الإمام حيث روى المفسرون الكثير من تفسير آيات القرآن الكريم عن الإمام عليه السلام ومنها :

١- سئُل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢)، فقال عليه السلام: (السابق بالخيرات الإمام، والمقتصد العارف للإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام).

٢- وفي قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء: ٩٤)، قال الإمام عليه السلام: (إنّها نزلت في قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره).

٣- فسّر الإمام الباقر عليه السلام الهداية في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: ٨٢) بالولاية لأئمّة أهل البيت حين قال: (فو الله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ولم يجيء بولايتنا إلاّ أكبّه الله في النار على وجهه)[٢٥].

**رابعاً: المسائل الفقهية التي بحث فيها الإمام.**

سنذكر هنا بعض المسائل الفقهية التي تحدث فيها وأفتي فيها الإمام الباقر ومنها:

**المسح علي الخفين:** وجوز فقهاء المذاهب الإسلامية المسح علي الخفين في الوضوء، ولم يعتبروا مماسة اليد لظاهر القدمين، أما أئمة أهل البيت فاعتبروا المماسة ولم يسوغوا غيرها، يقول الربيع: سألت أبا اسحاق عن المسح؟ فقال أدركت الناس يمسحون - يعني

علي الخفين - حتي لقيت رجلا من بني هاشم لم أر مثله قط يقال له محمد بن علي بن الحسين فسألته عن المسح؟ فنهاني عنه، وقال: لم يكن أمير المؤمنين يمسح، وكان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين.

"لقد دل الكتاب العظيم على اعتبار المماسة قال تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ والآية ظاهرة أشد الظهور فيما حكم به اهل البيت[٢٦].

مس الفرج لا ينقض الوضوء: وذهب الشافعي إلى أن مس الفرج من نواقض الوضوء، وتمسك بذلك بما روي عن ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار من أن مس الفرج من نواقض الوضوء، أما الإمام أبو جعفر وسائر أئمة أهل البيت فإنهم لا يرون ذلك، روي زرارة عن أبي جعفر أنه قال: "ليس في القبلة ولا المباشرة، ولا مس الفرج وضوء " ويضاف إلى ذلك ثبوت حكم الطهارة وجريان استصحابها، وإن نقضها يحتاج إلى دليل[٢٧]. وغير ذلك من المسائل الفقهية التي أفتي فيها الإمام...

**خامساً: وصايا الإمام باقر.**

كما أثر عن الإمام وصايا كثيرة وجه بعضها لشيعته وبعضها لأبنائه وبعضها لأصحابه وهي حافلة بالقيم الكريمة والمثل العليا وزاخرة بآداب السلوك والتوجيه الصالح الذي يصون الإنسان من الانحراف وفيما يلي ذلك:

**وصاياه لشيعته:** إن من الواجب على من انتحل مبدأ أهل البيت عليهم السلام أن يأخذ بهذه الوصية الخالدة ويعمل بما تضمنته من بنود مشرقة ليكون مثالا للإنسانية، ونموذجا يقتدي به، وهذا هو نص وصيته : "يا معشر شيعتي، اسمعوا وافهموا وصايانا، وعهدنا إلى أوليائنا، اصدقوا في حديثكم، وبروا في إيمانكم لأوليائكم وأعدائكم، وتواسوا بأموالكم وتحابوا بقلوبكم، وتصدقوا علي فقرائكم، واجتمعوا على أمركم، ولا تدخلوا غشا ولا خيانة على أحد، ولا تشكوا بعد اليقين... الخ".

**وصاياه لولده الصادق:** وزود الإمام الباقر ولده الصادق بجمهرة من الوصايا القيمة منها "يابني ان الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من

الطاعة شيئا فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئا فلعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحدا فلعله ذلك الولي...".

**وصيته لعمر بن عبدالعزيز:** حينما ولى عمر بن العزيز طلب من الإمام أبي جعفر أن يزوده بوصية ينتفع بها فقال له عليه السلام: "أوصيك بتقوى الله وأن تتخذ صغير المسلمين ولدا وأوسطهم أخا وكبيرهم أبا فارحم ولدك وصل أخاك وبر أباك...".

**وصيته لبعض أصحابه:** وأراد بعض اصحاب الإمام السفر فزوده بهذه الوصايا قائلا: " لا تسيرن سيرا وأنت حافي ولا تنزلن عن دابتك ليلا لقضاء حاجة إلا ورجلك في خف، ولا تبولن في نفق ولا تذوقن بقلة ولا تشمها حتي تعلم ما هي...[٢٨]".

## المبحث الرابع

## مناظرات الإمام باقر عليه السلام ومواعظه

### أولاً: مناظرات الإمام باقر عليه السلام:

لقد أجرى الإمام الباقر عدة مناظرات سنكتفي هنا بذكر اثنين فقط لضيق المقام..

**مناظرة الإمام مع عبد الله بن معمر الليثي في المتعة:** روى أن عبد الله بن معمر الليثي قال لأبي جعفر : بلغني أنك تفتي في المتعة؟ فقال: أحلها الله في كتابه وسنها رسول الله وعمل بها أصحابه، فقال عبد الله: فقد نهى عنها عمر قال: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله قال عبد الله: فيسرك أن نساءك فعلن ذلك؟ قال أبو جعفر: وما ذكر النساء ههنا يا أنوك؟ إن الذي أحلها في كتابه وأباحها لعباده أغير منك وممن نهى عنها تكلفا، بل يسرك أن بعض حرمك تحت حائك من حاكة يثرب نكاحا قال: لا قال: فلم تحرم ما أحل الله؟ قال: لا أحرم، ولكن الحائك ما هو لي بكفؤ قال: فان الله ارتضى عمله ورغب فيه وزوجه حورا، فترغب عمن رغب الله فيه؟ وتستنكف ممن هو كفو لحور الجنان كبرا وعتوا؟ قال: فضحك عبد الله وقال: ما أحسب صدوركم إلا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره، وللناس ورقه[٢٩].

**مناظرة الإمام الباقر مع هشام بن عبد الملك** في حال الناس يوم القيامة روي عن عبد الرحمن بن عبد الزُّهري قال: حجّ هشام بن عبد الملك، فدخل المسجد الحرام متكياً على

يد سالم مولاه، ومحمد بن عليّ بن الحسين جالس في المسجد فقال له سالم: يا أمير المؤمنين! هذا محمد بن علي بن الحسين. فقال له هشام: المفتون به أهل العراق؟

قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر : يحشر الناس على مثل قرصة البر النقي، فيها أنهار متفجّرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.

قال: فرأى هشام أنّه قد ظفر به، فقال: الله أكبر أذهب إليه فقل له: ما أشغلهم عن الاَكل والشرب يومئذٍ؟ !

فقال له أبو جعفر م: فهم في النار أشغل، ولم يشغلوا عن أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾. فسكت هشام لا يرجع كلاماً [٣٠].

### ثانيا: مواعظ الإمام الباقر:

ووجه الامام أبو جعفر عليه السلام الى شيعته المواعظ التي وعظ بها الأوصياء أممهم فحذرهم من غرور الدنيا وفتنها، وبصرهم صولة الدهر، وفجائع الأيام، ودعاهم الى التفكر، وهذه بعض مواعظه:

١: قال أيها الناس إنكم في هذه الدار اغراض تنتضل فيكم المنايا، لن يستقبل أحد منكم يوما جديدا من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله، فأية اكلة ليس فيها غصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه، فان اليوم غنيمة، وغدا لا تدري لمن هو، أهل الدنيا في سفر يحلون عقد رحالهم في غيرها، قد خلت منا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله. أين الذين كانوا أطول أعمارا منكم وأبعد آمالا؟! أتاك يا ابن آدم ما لا ترده، وذهب عنك ما لا يعود، فلا تعدن عيشا منصرفا عيشا، ما لك منه إلا لذة تزدلف بك الى حمامك، وتقربك من أجلك؟ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود، والسواد المخترم، فعليك بذات نفسك،

ودع ما سواها، واستعن بالله يعنك....

٢: ووعظ الامام بعض اصحابه فأحاطه علما بواقع هذه الحياة فقال عليه السلام له:

انزل الدنيا كمنزل نزلته وارتحلت عنه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت، وليس معك منه شيء، ان الانسان لو نظر الى الدنيا بهذه النظرة الصائبة، وتعرف على واقعها وحالها لما أصيب بداء الغرور والأنانية، والجشع والطمع وغير ذلك من الآفات النفسية التي تضله عن طريق الحق.

٣: ومن مواعظه عليه السلام أنه قال ما أُغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا وحرم الله وجه صاحبها على النار، فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلا له جزاء إلا الدمعة فان الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا[٣١].

٤: تصدي الإمام للإسرائيليين

من الفئات التي كانت موجودة آنذاك في المجتمع الإسلامي وكان لها تأثير عميق في ثقافة المجتمع ذلك الوقت هم اليهود. فقد انتشر في المجتمع الإسلامي آنذاك مجموعة من أحبار اليهود الذين تظاهروا باعتناق الإسلام ومجموعة أخرى لازالوا على الديانة اليهودية، وقد تصدّوا للمرجعية العلمية لطبقة من بسطاء المجتمع الإسلامي. ومن هنا برزت ضرورة الوقوف أمام اليهود وإيحاءاتهم في الثقافة الإسلامية السيئة، وتكذيب الأحاديث المعولة من قبلهم عن أنبياء الله وبعض ما ينقلوه مما يشوّه سمعة الأنبياء، وقد تصدى الإمام عليه السلام لهم بقوة وبشكل جيد يكشف عن تعالي الإسلام وهيمنة الفكر الإسلامي على مثل هؤلاء المنحرفين ومع تلك الفرق الضالة.

وقد أشار زرارة إلى هذه القضية بقوله: "كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتبٍ مستقبل القبلة فقال: أما أن النظر إليها عبادة. فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ كعب الأحبار كان يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟

قال: صدق القول ما قال كعب.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك وغضب...

ثم قال: ما خلق الله عزّ وجلّ بقعة في الأرض أحبّ إليه منها[٣٢].

**ثالثا: بلاغته وآرائه.**

**باب العقل والجهل والعلم**

قال عليه السلام: ((لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: وعزت وجلالي ما خلقت خلقا هو أحب إلى منك، بك آخذ وبك أعطي وعليك أثيب)). قال عليه السلام: ((انما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة علي قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا)). قال عليه السلام: ((اذا قام قائمنا وضع الله يده علي رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم))....

**باب التوحيد:**

عنه عليه السلام: ان الله تبارك و تعالى كان و ليس شيء غيره نورا لا ظلام فيه، وصدقا لا كذب فيه، و علما لا جهل فيه، و حياة لا موت فيها، و كذلك هو اليوم، و كذلك لا يزال أبدا. قال عليه السلام ان الله تباركت أسماؤه التي يدعي بها و تعالى في علو كنهه أحد، توحد بالتوحيد في توحده ثم أجراه على خلقه فهو أحد صمد قدوس يعبده كل شيء ويصمد اليه، و فوق الذي عنينا تبلغ، وسع كل شيء علما . محمد بن مسلم عنه عليه السلام: قال في صفة القديم: انه واحد صمد، أحدى المعني، ليس بمعان كثيرة مختلفة. قال: قلت جعلت فداك أنه يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، و يبصر بغير الذي يسمع. قال: فقال: كذبوا وألحدوا، وشبهوا الله تعالى؛ انه سميع بصير، يسمع بما به يبصر، ويبصر بما به يسمع. قال: فقلت يزعمون انه بصير على ما يفعله. قال: فقال: تعالى الله انما يعقل من كان بصفة المخلوق و ليس الله كذلك. قال عليه السلام: تكلموا فيما دون العرش و لا تكلموا فيما فوق العرش، فان قوما تكلموا في الله فتاهوا، حتى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه....

**باب النبوة:**

عن زرارة[٣٣] قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك،

والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت: الامام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ولا محدث.

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث، قال: الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلا فيراه و يكلمه فهذا الرسول، و أما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا ابراهيم و نحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة و كان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة و جاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرائيل و يكلمه بها قبلا(٣٤).

## المبحث الخامس

## وفاة الإمام الباقر عليه السلام

### أولاً: مرض الإمام محمد الباقر ورحيله.

يقول الإمام الصادق: بقي أبي سبعة أيام وآثار السم تزداد في جسده و يتقلب على فراش علته يمينا وشمالا.. ألا منادٍ و إماماه و سيداه حتى تغيرت أحواله وضعف حاله بعدها إمامنا الباقر عرق جبينه.. وسكن أنينه.. مدد يديه.. أسبل رجليه.. بعدها فاضت روحه الطاهرة.. ألا منادٍ وإماماه و سيداه. وبعد ثمانية عشر عاما تصدى خلالها الإمام الباقر للإمامة الإسلامية، استجاب لنداء ربه الأعلى، فلباه راضيا مرضيا، وقد قضى من عمره المبارك سبعا وخمسين ربيعاً.

كان السم الذي دس إليه من خلال سرج امتطاه قد انتشر في جسده فالتفت إلى نجله ووصيه الإمام الصادق وقال له: سمعت علي بن الحسين ناداني من وراء الجدران يا محمد تعال عجل، وقال: يا بني هذه الليلة التي وعدتها وقد كان وضوئه قريبا، قال: أريقوه أريقوه فظن بعضهم أنه يقول: من الخمس فقال يا بني أرقه فأرقناه فإذا فيه فأره. وأوصي ابنه الإمام جعفر بأن يكفنه في ثلاثة أثواب، أحدها رداء له كان يصلي فيه يوم الجمعة، وثوب أخر وقميص، وأوصي أن يشق له القبر شقا، وأضاف فإن قيل لكم أن رسول الله

لحد له فقد صدقوا. كما أوصي أن يرفع أربع أصابع، وأن يرش بالماء، وأن يوقف من أمواله قدرا لكي تندبه النوادب بمنى عشر سنين أيام المنى. ولما توفي ضجت المدينة المنورة. ويُروى عن الإمام الصادق: أن رجلا كان على بعد أميال من المدينة فرأي في منامه أنه قيل له: انطلق فصل على أبي جعفر: فإن الملائكة تغسله، فجاء الرجل فوجد أبا جعفر قد توفي. وبعد تجهيزه دفن في البقيع عند قبر والده الإمام زين العابدين وعم أبيه الإمام الحسن المجتبى[٣٥].

**ثانياً: شهادة الإمام الباقر وسببه.**

قال المؤرخون: إن سبب وفاة الإمام باقر عليه السلام هو سم دسه إليه هشام بن عبدالملك فقد: وضعه له في طعام. وقيل: في شراب. وقيل: في سراج دابته كما يروي عن الإمام الصادق فوقع الإمام في فراشه متورم الجسد ثم عاش بعد ذلك ثلاثة أيام فلما كانت ليلة وفاته جعل يناجي ربه وأمر بأكفان له وكان فيه ثوب إحرام فقال اجعلوه في أكفاني. قال الإمام الصادق: ناداني أبي بعد فراغه من مناجاته وقال لي بني إن هذه الليلة التي أقبض فيها، وسر السم في بدن إمامنا الباقر عليه السلام ألا منادٍ و إماماه واسياده[٣٦].

**ثالثاً: وصايا الإمام الباقر عند وفاته**

فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودا فدعوة أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبدالله ابن عمر فقال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه يبني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد.

وفي بعض الكتب أوصي بثلاثمائة درهم لمأتمه وذلك لتستأجر له نوادب يندبه في منى أيام منى وكان عليه السلام يري ذلك من السنة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اتخذوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا.

وأوصى الباقر لولده جعفر: أوقف لي من مالي كذا وكذا للنوادب يندبني عشر سنين بمنى أيام منى[٣٧].

**رابعاً: تغسيله وتكفينه**

قام الامام الصادق عليه السلام بتنفيذ وصية ابيه الباقر عليه السلام فغسله وكفنه ثم شيعه على اكتاف الرجال حتى داراه في قبره الشريف. لكن اقول يا شيعه ما حال الامام الصادق وهو يشيع

والده كأني به و دموعه جاريه على خديه ينادي وا مظلوماه وا مسموماه[٣٨].

### خامسا: اكبار وتعظيم للإمام الباقر

وأجمع رجال الفكر والعلم من المعاصرين للإمام وغيرهم من البحاث والمؤلفين على تعظيم الامام الباقر عليه السلام والاعتراف له بالفضل والتفوق العلمي على غيره وقد اتفقت كلماتهم على أنه أسمى شخصية علمية عرفها العالم العربي والاسلامي، وهذه بعض كلماتهم التي تحمل انطباعاتهم عنه:-

### الامام الصادق

قال الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: كان أبي خير محمدي يومئذ على وجه الأرض.

ومعنى ذلك ان الامام الباقر عليه السلام كان أفضل مسلم في عصره في علمه وتقواه، وتحرجه في الدين، وغير ذلك مما يسمو به الانسان المسلم.

### هشام بن عبد الملك

أما هشام بن عبد الملك فكان من اعظم الحاقدين على الامام ومن ألد أعدائه إلا انه اعترف بسمو مكانة الامام، وعظيم شأنه فقد خاطبه قائلا "يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك".

### جابر بن يزيد

وجابر بن يزيد الجعفي من أشهر علماء المسلمين، ومن أجَلْ رواة الحديث، وهو ممن تتلمذ عند الامام أبي جعفر عليه السلام وروى عنه سبعين ألف حديث حسبما يقول الذهبي وكان ممن عرف مقام الإمام ووقف على مكانته فكان إذا حدث عنه يقول: ((حدثني وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء)).

### جابر بن عبد الله

واشتهر الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري بالولاء لأهل البيت عليهم السلام والتفاني بحبهم، وهو الذي حمل تحيات النبي صلى الله عليه وآله الى الإمام أبي جعفر عليه السلام كما ذكرنا ذلك وهو ممن وعى مكانة الامام عليه السلام فكان يجله ويعظمه والامام صبي يافع فكان اذا خاطبه قال له أنت

ابن خير البرية، وجدك سيد شباب أهل الجنة.

إلى غير ذلك من العلماء الكبار في ذلك العصر ومنهم جابر بن يزيد وابن كثير وعبدالحميد الحنبلي والنبهاني والقرماني والذهبي ومحمد الجزري.. وغيرهم من كبروا الإمام وعظموه(٣٩).

## الخاتمة:

كان الإمام الباقر عليه السلام في طفولته آية من آيات النبوغ والذكاء، وقد عرف الصحابة والتابعون ما يتمتع به الإمام عليه السلام منذ نعومة أظفاره من سعة الاطلاع والفضل وغزارة العلم، فكانوا يرجعون إليه في المسائل المستعصية التي لا يهتدون إليها، ولقد سُئل عن أدق المسائل فأجاب عنها ولم يكن يتجاوز عمره الشريف تسع سنوات.

حينما نستعرض سيرة الإمام الباقر عليه السلام لابدّ لنا من وقفات على بعض المصادق العملية لمعالم شخصيته الفذّة، التي ملأت الدنيا بسموها الشاهق، وأبهرت الخلائق بإشراقة نورها الساطع، حتى لم يعد خافياً فضله وجلالة قدره، وسمو منزلته، وتربعه على قمة العلم بكلّ ما حوى من حقول المعرفة، فحفظ لنا التاريخ بعضاً من إشعاعات تلك السيرة الوضاءة المعطاءة، حتى إنّ الأعداء والمخالفين، اعترفوا بمكانة الإمام عليه السلام وشرفه السامقة، وإنّ الناس مهما بلغت بهم ذروة العلياء هم دون الإمام الباقر عليه السلام بمراتب.

فلقد بلغ الذروة في السمو، نسباً، وفكراً، وخُلُقاً، مما منحهُ أهليَّة النهوض بأعباء المرجعيَّة الفكريَّة والاجتماعية للأمّة بعد أبيه عليه السلام. فالإمام الباقر عليه السلام هو الذي ملأ العصر الذي عاشه بعلم تنوّعت موضوعاته وانفتحت أبعاده على كلّ القضايا التي كان يعيشها عصره فلم تنطلق أي قضية في أي شبهة أو أي مشكلة إلا ووجدنا الإمام الباقر عليه السلام يتحدث عنها ليضيء ما أظلم منها، وليفتح آفاقها تماماً، وقد تحدث بعض الذين رووا عنه وهو، أنّه كان يسأله في مختلف القضايا حتى أنّه روى عنه ثلاثين ألف حديث، ونجد أيضاً رواة آخرين رووا عنه ما يقارب ذلك في أكثر من موضوع.

تحدث الإمام الباقر كثيراً وفي مناسبات عديدة عن العلم فشجع على طلبه وحث الطلاب على المزيد من تحصيله لأنه على ثقة من أمره، أن العلم نور العقل وهو الدعامة

الأولى التي ترتكز عليها حياة الأمم المتطورة والراقية. الغاية من جمع العلم في الإسلام بذله لأهله وإشاعته بين الناس حتى يطرد الجهل وتنعم البلاد بالسعادة، لذلك وجدنا الإمام باقر عليه السلام يقول: (زكاة العلم أن تعلمه عباد الله). وقال أيضاً عليه السلام: (إن الذي تعلم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلمه، وله الفضل عليه، تعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء).

فائدة العلم، العمل به ولذلك حث الإمام عليه السلام أهل العلم بتطبيق ما علموه على واقع حياتهم، فالعلم نور يطرد الظلام بنوره الساطع، والعلم قدرة يبعد الشيطان من التسلط على الإنسان، والعلم سلطة يهب الإنسان مكانة مرموقة في مجتمعه ويغنيه عن ذلك السؤال.

استطاع عليه السلام أن يُقدِّم للأُمّة معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام في جميع مجالات الحياة، ويُربِّي عدّة أجيال من الفقهاء والعلماء، ويبني القاعدة الصلبة من الجماعة الصالحة التي تتبنّى خط الرسول صلى الله عليه وآله المتمثِّل في أهل البيت عليهم السلام وتسعى جاهدة لتحقيق أهدافهم المُثلى.

إن العالم الإسلامي استمد من الإمام الباقر عليه السلام جميع مقومات نهوضه وارتقائه في المنهج الحضاري، ولم يقتصر المَد الثقافي والحضاري على عصره، وإنما امتد إلى العصور التالية. وقد جاء عليه السلام ليكمل رسالة أهل البيت عليهم السلام في تطور الحياة العلمية في الإسلام.

## هوامش البحث

(١) سورة الكهف، اية ١١١

(٢) الكليني، اصول الكافي، ج ٤،ص ٤٧٢

(٣) لابن شهر اشوب، المناقب، ج٤، ص ١٧٦

(٤) احمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٩٩

(٥) محمد الباقر، بحار الانوار، ج٢٩، ص ٢٠٨

(٦) باقر القرشي، حياة الامام محمد الباقر عليه السلام،ج١، ص ١٢٠-١٢١

(٧) عماد الدين بن كثير، البداية والنهاية،ج٩،ص٣٠٩

(٨) احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص ٦٣

(٩) جمال الدين الافريقي، لسان العرب،ج٤،ص٧٤
(١٠)الفيروز ابادي، القاموس المحيط،ج١،ص٣٧٦
(١١)، فاطه علي جعفر، باقر علوم الاولين والاخرين، ص ٢٢
(١٢) هاشم معروف الحسيني، سيرة الائمة الاثني عشر،ج٢،ص١٩٤
(١٣) عباس القمي، سفينة البحار:٢/٢٧٣
(١٤) باقر القريشي، حياة الامام محمد الباقر عليه السلام، ص ٩١-٩٣
(١٥) جعفر السبحاني، سيرة الائمة عليه السلام، ص ٢٧٢-٢٧٤
(١٦) لابن شهر اشوب ،المناقب،ج٤،ص٢١١
(١٧) سورة الزمر، الآية ٩.
(١٨) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص ٢٠٩.
(١٩) باقر القرشي، حياة الامام الباقر، ج١، ص ٢٣٦.
(٢٠) باقر القريشي، حياة الامام عليه السلام دراسة وتحليل، ج١، ص ١٤٠-١٤٢-١٩٠
(٢١)المصدر السابق، ص ٢١٥
(٢٢) المصدر السابق، ص ٢٢٦
(٢٣) المصدر السابق، ص ٣٠٤-٣٠٥
(٢٤) فاطمة جعفر، باقر علوم الاولين، ص٥١-٥٢.
(٢٥) الصدر، تأسيس الشيعة، ص ٣٢٧
(٢٦) محمد النيسابوري، روضه الواعظين:٢٤٣
(٢٧) فاطه جعفر، باقر علوم الاولين والاخرين،، ص ٤٦
(٢٨) باقر القرشي، حياة الامام عليه السلام دراسة وتحليل،ج١،ص٢٨٢-٢٨٣
(٢٩)ابي الحسن الاربلي، كشف الغمة،ج٣، ص ٣٦٢
(٣٠) محمد باقر، بحار الانوار، ج٧،ص ١٠٥-١٠٦
(٣١) باقر القرشي، حياة الامام عليه السلام دراسة وتحليل، ج١، ص ٢٨٩-٢٩٠-٢٩١
(٣٢) المجلسي، بحار الانوار،. ج ١١، ص٨٣
(٣٣) زرارة بن أعين :عبد ربه بن أعين هو أبو الحسن عبد ربه ﴿زرارة بن سنسن بن الشيباني الكوفي هو أحد كبار رواة الشيعة الإمامية الإثنا عشرية روى عن الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصّادق، ولد عام ٨٠ ه واحتمال كونه مولود في الكوفة بكونه يذكر بالكوفي. (الفهرست، ص ٧٤).
(٣٤) المازندراني، اصول الكافي، ج٥، ص١١٥.
(٣٥) فاطه جعفر، باقر علوم الاولين والاخرين، ص١٥٠.
(٣٦) المصدر السابق، ص١٦٢.

(٣٧) محمد باقر، بحار الانوار، ج٦٤، ص٢١٤-٢٢٠.
(٣٨) فاطه جعفر، باقر علوم الاولين والاخرين، ص١٦٦.
(٣٩) باقر القرشي، حياة الامام الباقر عليه السلام دراسة وتحليل، ج١، ص٩٧-١٠٠.

## قائمة المصادر والمراجع

### المصادر العربية


١ - ابي جعفر الطوسي، الفهرست، ط١، قم، مؤسسة النشر الاسلامي،١٤١٧ هـ.
٢- ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي، كشف الغمة في معرفة الائمة،ج٣، ط٢، بيروت، دار الاضواء، ١٩٨٥م .
٣- احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج٣،ط١،النجف، دار الرضوية، ١٣٨٧ ش .
٤- باقر شريف القرشي، حياة الإمام محمد الباقر دراسة وتحليل، ج١، ط١، دار البلاغة، ١٣١٣ هـ.
٥- ثقه الاسلام محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي،ط٣، طهران، ١٣٦٧ ش.
٦- جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي لسان العرب،ج٤، ط٣، بيروت، دار التراث، ١٤١٤ هـ.
٧- حسن الصدر، الافريقي لسان العرب،ج٤،ط٣بيروت،دار الصادر، ١٩٥١ م.
٨- عباس القمي، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار،،ط٢،ج٢، بيروت، ١٤١٦هـ.
٩- علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال،ج٧، مؤسسة الرسالة ،١٩٧٢م.
١٠- عماد الدين بن كثير، البداية والنهاية، ج٩،دار الهجر، ٢٠١٥م.
١١- لابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، النجف، الحيدرية،١٩٥٦م.
١٢- محمد باقر مجلسي، بحار الانوار،ج٧، طهران،،١٣٥٨ ش.
١٣- محمد بن حسين الشريف الرضي، المجازات النبوية، ط ١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ.
١٤- محمد بن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين،ج٢،، ط١، نگارش، ١٤٢٣ هـ.
١٥- محمد بن علي الباقر، مولده، حياته ووفاته، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤١٣ هـ - ٢٠١٠ م.
١٦- محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط،ج١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٧- مولي محمد صالح المازندراني، شرح اصول الكافي،ج٥،دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٠ م.
١٨- هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الاثني عشر، ج٢، النجف، الحيدرية، ١٣٨٢هـ .